

من الحكمة إلى الحيلة الأثر الرواقي في علاج الحزن عند الكندي

تاريخ تقديم البحث: ٢٠٢٥/١٢/٢١

تاريخ قبول البحث: ٢٠٢٥/١٢/٢٩

م. د. مؤيد جبار رسن (*)

الحياة، لأن الفلسفة ليست مجرد تأمل نظري، بل أداة عملية تساعد الإنسان على تجاوز الأزمات ومواجهة تحديات الحياة بوعي وحكمة، والالتزام بأسلوب حياة متزن يجد من تأثير الأحزان والانفعالات السلبية مما يجعل الفلسفة أداة للتحرر من قيود الاضطرابات العاطفية.

الكلمات المفتاحية: الكندي، الحزن، الرواقية، الفلسفة، الانسان

المقدمة

تعد رسالة الكندي "في الحيلة لدفع الأحزان" واحدة من رسائله المهمة التي تناول فيها موضوعاً حيويًا يتمثل في الجانب التطبيقي للفلسفة، وكيفية توظيفها لمعالجة قضايا الإنسان اليومية التي تتعلق بالصحة النفسية وتحقيق التوازن الداخلي. في

الملخص

يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على الأثر الرواقي في فكر الكندي (١٨٥ هـ / ٨٠٥ م - ٢٥٦ هـ / ٨٧٣ م) عن طريق تحليل رؤيته لمفهوم الحزن واستكشاف كيفية توظيفه للفلسفة كأداة لتحقيق التوازن النفسي، بهدف إبراز دور الفلسفة بوصفها ممارسة حياتية فعالة تسهم في تحسين جودة الحياة، بعيداً عن كونها مجرد تأملات نظرية بعيدة عن الواقع، كما سيتناول البحث المقارنات الفلسفية بين الكندي والرواقيين، محاولاً توضيح مدى تأثيره هذه المدرسة الفلسفية وكيفية تمايزه عنها في بعض الجوانب، وذلك من أجل توضيح دوره الرائد في دمج الفلسفة الرواقية مع التعاليم الإسلامية، مما ساهم في تشكيل هوية فلسفية مستقلة تثري الفهم الإنساني وتعزز القدرة على التفاعل مع تحديات

هنالك فكرة راسخة لدى الباحثين وفي التواريخ الفلسفية مفادها أن التأثير اليوناني على الفكر الإسلامي قد تجسد بشكل رئيسي في أفكار أفلاطون وأرسطو، فضلاً عن (الأفلاطونية المحدثة). كانت لهذه الأقطاب الثلاثة تأثيرات بارزة في تشكيل الفلسفة الإسلامية، حيث انعكست أفكارهم في الفلسفة النظرية: وعلم الكلام والتوجهات العرفانية والتصوف، ورغم هذا الاعتقاد السائد والمفهوم الشائع إلا أن هناك تأثيراً آخر لا يقل أهمية عن تأثيري أفلاطون وأرسطو وهو التأثير العميق للرواقية على الفكر الإسلامي.

فقد امتد هذا التأثير ليشمل ليس فقط الفلسفة وعلم الكلام والتصوف، بل أيضاً الجانب التطبيقي للفلسفة، حيث أثرت المفاهيم الرواقية في النظريات الأخلاقية، والتصورات حول الطبيعة، وممارسات السلوك الفردي والمجتمعي في الفكر الإسلامي. ومع ذلك لا يزال هذا الموضوع غير متناول بالشكل الكافي في الأبحاث الأكاديمية، إذ تكاد الدراسات المتعلقة بتأثير الرواقية على الفكر الإسلامي تكون نادرة نسبياً مقارنة بتأثيرات الفلسفات اليونانية الأخرى، على الرغم من أهميته في تشكيل بعض المبادئ الأساسية في الفلسفة الإسلامية^(١).

شغلت الأخلاق الرواقية دوراً محورياً في تاريخ الفلسفة الأخلاقية، وكان لها تأثير كبير في الفلسفة الإسلامية. فقد تأثر الفارابي بالفكر الرواقي في

هذه الرسالة يتخطى الكندي الفهم التقليدي للفلسفة الموروثة من اليونان والذي كان يركز على الميتافيزيقا أو دراسة الطبيعة ليبرز بوضوح جانباً آخر لها وهو وظيفتها العملية في خدمة الإنسان، من خلال تمكينه من مواجهة الأحزان والانفعالات السلبية بأسلوب عقلائي قائم على التأمل والتفكير النقدي وإعادة صياغة المفاهيم المتعلقة بالألم والقدر والمصير.

في هذه الرسالة يقدم الكندي رؤية عملية كيفية توظيف الفلسفة في الحياة اليومية، موضحاً أن التفكير الفلسفي ليس مجرد تمرين ذهني أو تأملات نظرية، بل هو أسلوب حياة يمكن الإنسان من تحقيق الاستقرار النفسي والتوازن العاطفي. من خلال هذه الرؤية يسعى الكندي إلى جعل الفلسفة أداة فعالة تساعد الأفراد على التعامل مع تحديات الحياة اليومية ومشاعرهم السلبية مما يعزز قدرتهم على اتخاذ قرارات حكيمة في مواجهة الضغوط.

بهذا الطرح يتضح التأثير الواضح للفلسفة الرواقية عليه لا سيما في ما يتعلق بالانفعالات وكيفية معالجتها. فالكندي يسعى كما الرواقية من قبل إلى تحويل الفلسفة إلى أداة حيوية لتخفيف المعاناة البشرية، مؤكداً أنها ليست مجرد نظريات مجردة بل هي ممارسة حية وواقعية تمكن الإنسان من مواجهة تقلبات الدهر بعقلانية وطمأنينة.

أولاً: الكندي وتلقي الفلسفة الرواقية

الإسلامية في المشرق، كما لعبت الحروب والتفاعل الحضاري دوراً مهماً في انتقال هذه المفاهيم مما أسهم في إدماج بعض العناصر الرواقية في الفكر الإسلامي سواء في مجال الفلسفة أو التصوف^(٣).

يؤكد أبراهيم مذكور أن مؤلفات مدرسة الإسكندرية مثل مؤلفات أمونيوس قد انتقلت إلى العالم الإسلامي في وقت مبكر حتى قبل حركة الترجمة الكبرى، وكانت هذه النصوص غنية بعناصر من الفلسفة الرواقية سواء في مجال المنطق أو الأخلاق، مما جعلها أحد الجسور الأساسية التي نقلت الفكر الرواقي إلى الفلاسفة المسلمين^(٤).

إضافة إلى ذلك يقال إن المسلمين تعرفوا على الرواقية عبر مصادر متعددة، من بينها ما يعرف بـ "المدرسة النفسية"، التي أشار إليها عثمان أمين كأحدى القنوات المباشرة لنقل الفكر الرواقي رغم التشكيك في وجودها، إلا أن إيميل برييه، المتخصص في الفلسفة اليونانية، يدعم هذا الطرح مشيراً إلى أن هذه المدرسة كانت امتداداً للمذهب كريسيوس وأسسها أثينيوس الأثالي، ونُسبت إليها رسالة النفس المنسوبة خطأً إلى أرسطو^(٥).

يُشير كريستيان دريز هو -فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر- إلى أن "المدرسة النفسية" كانت طائفة باطنية تسعى إلى التوفيق بين المذاهب الفلسفية المختلفة مما يعزز احتمال تأثر الفكر الإسلامي بها. ويبدو أن هذه المدرسة لعبت دوراً مهماً في نقل بعض الأفكار الرواقية إلى

تصوره للسعادة والفضيلة، ويظهر تأثيره أيضاً في فكر ابن سينا خاصة في مسألة ضبط الانفعالات والسيطرة عليها عبر العقل، كما كان لهذا الفكر حضور واضح في كتاب "تهذيب الأخلاق" لمسكويه حيث تناول قضايا الأخلاق وإدارة العواطف بأسلوب يعكس المبادئ الرواقية، كما أن هنالك شواهد على أن الفلاسفة المسلمين كانوا على دراية بجوانب من الفلسفة الرواقية سواء عن طريق الاطلاع المباشر أو عبر مصادر وسيطة فالفلاسفة المسلمون تعرفوا على الفكر الرواقي من خلال شرح أرسطو، كما ساهمت مؤلفات الأطباء اليونانيين مثل جالينوس في نقل بعض المفاهيم الرواقية إلى الفكر الإسلامي. إضافة إلى ذلك لعبت الترجمات العربية لبعض الكتب الرواقية دوراً مهماً في نشر هذا الفكر مثل ترجمة مسكويه لكتاب "لغز قابس"^(٦).

كانت آراء الفلاسفة الرواقية لا سيما في مجال الأخلاق منتشرة بين المثقفين في بلاد الشام ومصر منذ القرن الأول الميلادي كما أشار سانتلانا، ومن الشواهد على ذلك رسالة مار ابن سرافيون إلى ابنه التي نُشرت في مجلة الشركة الشرقية الألمانية وهي مليئة بالأفكار الرواقية، ولا شك أن العرب في العهد الإسلامي قد اطلعوا على كثير من هذه الأفكار ليس فقط من خلال الترجمات، بل أيضاً عبر الاحتكاك الثقافي والمناظرات الفكرية التي دارت بينهم وبين المسيحيين والروم والصابئة وأتباع الديانات الأخرى، خاصة بعد الفتوحات

تأثير ملموس في نقل الفكر الرواقي إلى العالم الإسلامي، ليس فقط في مجال السيكلوجيا، بل في مختلف فروع الفلسفة^(٧)، وبهذا المعنى يرى جدعان أن جالينوس كان حلقة وصل حيوية في نقل الفكر الرواقي إلى الفلسفة الإسلامية، حيث ساهم بشكل كبير في تطور علم النفس ودمجه في السياق الفلسفي العملي، إذ لم يقتصر تأثيره على هذا المجال فحسب، بل كان له دور أساسي في إثراء العديد من فروع الفلسفة، مما جعل تأثيره عميقاً وملموساً، ولذلك يُعد جالينوس من المصادر الرئيسية التي ساعدت في ترسيخ الفكر الرواقي داخل الفلسفة الإسلامية.

من خلال ما سبق وقراءتنا لرسالة "الحيلة لدفع الأحزان"، يتضح لنا تأثير الكندي بالفلسفة الرواقية في موضوع الانفعالات خاصة في انفعال الحزن الذي ارتبط بحوار الفيلسوف سينيكا مع الإمبراطور نيرون، ورغم أن الكندي لم يذكر سينيكا بالاسم، إلا أن كتاباته تشير بوضوح إلى معرفته بالفكر الرواقي خاصة في فكرة الزهد، هذه الفكرة تتناغم مع رؤية الكندي في التعامل مع الأحزان حيث شدد على أهمية تقليل التعلق بالأشياء المادية التي قد تسبب الحزن عند فقدانها. ومن هنا، يمكننا أن نستنتج أن الكندي استلهم بعض أفكار الرواقية لاسيما تلك المتعلقة بتقليص التعلق بالأشياء والابتعاد عن الانفعالات السلبية.

المسلمين، نظراً لارتباطها بمفهوم "النفس" الذي يُعد جوهر الحياة البشرية في تصورهما الفلسفي. في الفلسفة الرواقية تشكل النفس مبدأً أساسياً يفسر من خلاله الكون، حيث يرى الرواقيون أن النفس ليست مجرد كيان داخلي للإنسان بل هي عنصر حيوي يسري في العالم بأسره، مما يجعلها أساساً لفهم اللاهوت والأخلاق والميتافيزيقا والطبيعة، وبما أن الفكر الإسلامي تأثر بالفلسفات اليونانية عبر شراح أرسطو والمدارس الفلسفية والطبية المختلفة، فمن المحتمل أن تكون هذه المفاهيم الرواقية قد انتقلت إلى المسلمين عبر هذه القنوات، مما ساهم في تشكيل بعض الرؤى الفلسفية الإسلامية خاصة في مجالات النفس والأخلاق والتفسير الكوني^(٨).

من الأدوار البارزة أيضاً في انتقال الرواقية إلى الفلسفة الإسلامية كان دور ألكسندر الأفروديسي الذي ساهم في نقل الأفكار الرواقية عن طريق شروحه على مؤلفات لأرسطو متبعاً نهجاً انتقائياً استلهمه من تيارات فلسفية مختلفة، كما لعب الطبيب جالينوس دوراً مهماً في هذا السياق لاسيما من خلال أعماله مثل مذهب أبقراط وأفلاطون، حيث قام بتحليل النسق الطبيعي للرواقية ونقده، ويؤكد فهمي جدعان على أهمية هذا التأثير في تطور الفكر الفلسفي الإسلامي، إذ يقول: ((لا بد أن نعترف، بأن كتابات الأطباء الإغريق، وخصوصاً جالينوس، تعد من المصادر الأساسية للرواقية في الإسلام، ومن البديهي أن يكون لجالينوس

الرأي الذي يورده ريتشارد فلتسر بشأن نسبة رسالة "الحيلة في دفع الأحزان" يثير الاستغراب إذ يطرح تساؤلات جوهرية حول أصالة النص وإمكانية أن يكون قد نُسب إلى الكندي خطأً، مما يفتح باب النقاش حول طبيعة النصوص الفلسفية في التراث العربي-الإسلامي ومدى تأثيرها أو استلهامها من مصادر سابقة، هذه الإشكالية تتطلب دراسة أعمق حول آليات انتقال النصوص عبر العصور، خاصة في ظل التأثير المتبادل بين الفكر اليوناني والإسلامي.

ومع ذلك فإن ما يثير الدهشة أكثر هو موقف عبد الرحمن بدوي^(٩)، من هذا الرأي، فعلى الرغم من إيراده لهذا الطرح، لم يتوقف عنده طويلاً بل دحضه بطريقة تفتقر إلى المنهجية العلمية الصارمة التي عُرف بها، مما يجعله موقفاً مفاجئاً من مفكر بحجم بدوي. وجاء رده ضعيفاً مقارنة بالحجة التي قدمها فلتسر، والتي في رأيه تستند إلى أبحاث أكاديمية معمقة في مقارنة النصوص الفلسفية القديمة. إن إعادة تقييم هذه المسألة تتطلب استعراض المخطوطات الخاصة بالرسالة وتحليل سياقها التاريخي، والمنهجي، إضافة إلى دراسة مدى تطابق أسلوبها مع أعمال الكندي الأخرى، ومع ذلك فإن تأثير هذه الرسالة في الفلسفة العربية يجعل اسم الكندي مرتبطاً بها ارتباطاً وثيقاً سواء كان مؤلفها الفعلي أم لا.

الزعم الذي يطرحه المستشرق ريتشارد فلتسر بشأن نسبة رسالة الحيلة في دفع الأحزان إلى غير

ثانياً: في الحيلة لدفع الأحزان: بين السياق التاريخي وتأثيرها الفكري

تحتل رسالة الكندي "في الحيلة لدفع الأحزان" مكانة بارزة في تاريخ الفلسفة والطب النفسي لما تتضمنه من معالجة منهجية لإنفعال الحزن، وهي قضية إنسانية متجذرة عبر العصور، وتنبع أهمية هذه الرسالة من تجاوزها للإطار الفلسفي النظري لتؤدي دوراً ريادياً في فهم النفس البشرية وتقديم آليات عملية للتخفيف من معاناتها، وتكتسب الرسالة قيمتها التاريخية من قدرتها الفريدة على الجمع بين التأمل الفلسفي والرؤية التطبيقية في تجسيد واضح لعمق رؤية الكندي وإسهامه الفاعل في بلورة فكر إنساني يستجيب لتحديات زمنه ويظل مؤثراً في الأزمنة اللاحقة.

لا يعرف على وجه التحديد متى ألف الكندي رسالة "الحيلة في دفع الأحزان". وقد نشرت هذه الرسالة لأول مرة بفضل جهود المستشرقين (هلموت ريتز وريتشارد فلتسر) إلى جانب المستشرق (ويلفي ديلا فيدا) قام ريتز بتحرير النص العربي، بينما تولى فلتسر ترجمته إلى الإيطالية، مصحوبة بمقدمة طويلة تشرح محتوى الرسالة وسياقها التاريخي، ومع ذلك يورد فلتسر في مقدمته رأياً مثيراً للجدل ينقله عنه (عبد الرحمن بدوي) في تحقيقه للنص، مفاده أن هذه الرسالة قد لا تكون من تأليف الكندي. ووفقاً لهذا الزعم فإن النص يُنسب في الأصل إلى ثامسطيوس أحد أشهر شراح أرسطو والذي عاش في القرن الرابع الميلادي^(١٠).

أظهر مايرهوف موقفاً حاسماً مؤكداً بشكل قاطع أن الرسالة هي من تأليف الكندي. وأوضح ماكس أن الاختلاف في الأسلوب قد يكون ناتجاً عن عوامل شخصية أو تغيرات زمنية مرتبطة بمراحل تطور الكندي الفلسفي كما أشار، إلى أن دراسة الأسلوب بمعزل عن السياق التاريخي والفكري للمؤلف قد يؤدي إلى استنتاجات خاطئة. يعزز هذا الطرح فكرة أن النصوص الفلسفية قد تتسم بتنوع في أساليب الكتابة وفقاً للسياق دون أن ينفي ذلك نسبتها إلى مؤلفها^(١١).

يمكننا تقديم دليل آخر على أن رسالة الحيلة لدفع الأحزان تعود إلى الكندي، وذلك عن طريق مقارنتها برسائله الحدود والرسوم^(١٢)، بهدف الكشف عن الروابط الفكرية والمنهجية بينهما، فبعد إجراء دراسة معجمية دلالية تبين أن بعض المصطلحات التي استخدمها الكندي في الحدود والرسوم موجودة في الحيلة لدفع الأحزان، مما يعزز نسبة الرسالة إليه ويؤكد انسجامها مع أسلوبه الفلسفي العام، كما أن الرسائلتين تشتركان في منهجية التحليل والتصنيف مما يعكس تماسك فكر الكندي عبر أعماله المختلفة، لكن في الوقت نفسه لا يمكن إنكار التأثير الرواقسي في هذه الرسالة، خاصة في تناولها لموضوع الحزن وعلاجه، حيث نجد تقارباً واضحاً يصل إلى مرحلة التشابه بين أفكار الكندي وأفكار سينيكا وإبكتيتوس كون هذه الرسالة الحزن من منظور علاجي مشابه لما طرحته الفلسفة الرواقية مع التركيز على التحكم

الكندي يعتمد في طرحه على مقارنة أسلوب الكتابة والمحتوى الفلسفي للرسالة مع أعمال الكندي الأخرى، مشيراً إلى اختلاف في الأسلوب واللغة، كما يرى أن بعض الأفكار الواردة في الرسالة تحمل طابعاً فلسفياً وعلاجياً قد يبدو بعيداً عن النهج الفلسفي الذي اشتهر به الكندي، ومع ذلك فإن الأدلة التي يقدمها تظل غير واضحة أو كافية لإثبات هذا الادعاء، أذ يقول: ((أن هذه الرسالة لا تعدو كونها نسخة عربية عن عمل يوناني ما في السلوان مع بعض الإضافات للكندي أو من دونها... وان الفلسفة الاسلامية لا تعرف هكذا نوع من العلاجات))^(١٣). في الحقيقة لا يمكن قبول هذا الرأي بسهولة فهو لا يستند إلى براهين كافية تجعلنا نفق عنده بجديّة أو نعمده كأساس للتحليل. فالججج التي يوردها فلتسر وصاحبه تفتقر إلى الأدلة الأكثر قوة من الدليل الذي يورده، وحتى الدليل الذي اتى به لا يشكل دليلاً كافياً لمجرد وجود تشابه في الأسلوب، إذ إن التشابه الأسلوبي وحده لا يعد معياراً حاسماً في نسبة الأعمال الفكرية خاصة في ظل غياب أدلة نصية أو تاريخية تدعم هذا الادعاء.

في المقابل فند المستشرق الالماني ماكس مايرهوف(١٨٧٣-١٩٤٥) تلك الادعاءات في مراجعاته التي أجراها عام ١٩٣٨ لترجمة فلتسر للرسالة، مستنداً إلى منهج علمي دقيق وحجج قوية تفوقت في وضوحها وقوتها على ما قدمه بدوي الذي بدأ أقرب إلى دور المحقق الصامت.

الأحزان للكندي كعمل فلسفي رائد، إذ تحتل مكانة تاريخية بارزة بين الباحثين بعدها واحدة من أولى الدراسات التي تناولت مسائل الصحة النفسية والعاطفية في الفكر العربي الإسلامي، وتمثل هذه الرسالة نقطة تحول في دراسة العلاقة بين العقل والمشاعر حيث ينظر إليها كمؤلف أساسي في الفلسفة العلاجية والتوجيه النفسي مما يعزز مكانة الكندي في تطور الفكر الطبي والفلسفي.

ثالثاً: الحزن التعريف والماهية أو الرواقية في رداء الكندي

قبل الولوج في تعريف الحزن عند الكندي من الضروري التوقف أولاً عند الجذور الأساسية لهذا الشعور أي الانفعالات التي تؤدي إلى نشأته، فالكندي ينطلق في فهمه للحزن من رؤية شاملة تجمع بين العقل الفلسفي والبعد الأخلاقي ويظهر في هذا الطرح تأثره الواضح بالفلسفة الرواقية ولا سيما في تأكيده على دور العقل في ضبط الانفعالات والتحكم في المشاعر.

فالرواقية التي تدعو إلى تهذيب الانفعالات وجعل العقل سيداً على العواطف، هذه الفكرة نجد لها صدى واضحاً عند الكندي الذي يرى أن الحزن لا ينبع من طبيعة الأحداث ذاتها بل من الكيفية التي ندرك بها هذه الأحداث ونتفاعل معها، ومن هنا يكون الطريق إلى التحرر من الحزن بحسب الكندي هو إعادة تشكيل الإدراك عن طريق التأمل العقلي والتسليم بحتمية ما لا يمكن

في الانفعالات من خلال العقل والتأمل الفلسفي.

فالكندي تأثر بالفكر الرواقي سواء من خلال الاطلاع المباشر أو عبر الترجمات الوسيطة التي كانت متداولة في عصره حيث تجده يُشير في رسالته إلى سينيكا وإلى نيرون ووالدته^(١٣)، كما يوظف أمثلة سبق أن استخدمها سينيكا وإبكتيتوس في تناول مسألة الحزن وعلاجه، مما يدل على استيعابه العميق للفكر الرواقي. علاوة على ذلك يظهر في أسلوب الكندي تأثره بالطريقة الخطابية التي تميز بها الفلاسفة الرواقيون، إذ يعمد إلى توجيه نصائح عملية تهدف إلى تقوية النفس في مواجهة الأحزان. ومع ذلك فالكندي لم يقتصر على إعادة إنتاج الأفكار الرواقية فحسب، بل أضاف إليها عناصر فكرية خاصة به تتجلى في مزجه بين التحليل الفلسفي والتفسير النفسي، وهو ما سنستكشفه بالتفصيل لاحقاً، بهدف فهم كيفية تكيفه للفكر الرواقي ضمن السياق الإسلامي والفلسفي الذي كان يعمل فيه.

إن مناقشتنا لمسألة المستشرق ريتشارد فلتسر تنبع من ضرورة التأكيد على النهج الذي يجب أن يتبعه الباحثون في مواجهة المركزية الغربية في الدراسات العربية، فمن المهم الدفاع عن تراثنا الفلسفي الذي لم يكن مجرد ناقل للفكر، بل لعب دوراً جوهرياً في حفظ الفلسفة وتطوير مناهجها قبل أن يتعرف عليها الغرب ويتبناها.

في هذا السياق تبرز رسالة الحيلة في دفع

خلال تقنيات عقلية وسلوكية تعتمد على التأمل العقلي وإعادة بناء التصورات. يُعرف الكندي الحزن بأنه ((ألم نفسي يعرض لفقد المحبوبات وفوت المطلوبات... وهو عارض لفقد محبوب أو لفوت مطلوب))^(١٥)، وهذا التعريف يتشابه بشكل كبير مع التعريف الذي تقدمه الرواقية للحزن عن طريق سينيكا بقوله: ((ألم نفسي ينشأ عن تصور خاطئ لما يُعد خيراً أو شراً، حيث يُعتقد أن فقدان أمر خارجي يُمثل شراً حقيقياً، في حين أن الشر الحقيقي يكمن في فساد العقل وانحراف الفضيلة))^(١٦).

من خلال التعريفين السابقين يتبين أن كلاً من الكندي والرواقية يتفقان على أن الحزن ليس ألماً جسدياً بل هو ألم نفسي داخلي نابع من فقدان أمر عزيز أو الإخفاق في تحقيق هدف مهم. فالكندي ينظر إلى الحزن بوصفه تجربة إنسانية طبيعية تمر بها النفس ويمكن تجاوزها عبر الفكر العقلاني وتعديل العادات اليومية بما ينعكس إيجاباً على الصحة النفسية والعقلية. أما الرواقية، فترجع الحزن إلى تصورات عقلية خاطئة حول طبيعة الخير والشر، إذ يظن الإنسان أن فقدان شيء خارجي يمثل شراً حقيقياً، في حين أن الشر بحسب هذا التصور لا يكمن إلا في فساد العقل وانحراف الفضيلة. لذا ترى الرواقية أن التغلب على الحزن يستلزم تدريباً عقلياً دائماً وإعادة بناء الفهم الداخلي للقيم والمعايير وهو الأمر نفسه الذي يراه الكندي لا سيما تلك التي تحدد موقف الإنسان من الخسارة

تغييره. فبذلك يرتقي الإنسان من سطوة الانفعال إلى حالة من الطمأنينة الداخلية حيث يصبح العقل أداة للفهم والتجاوز لا مجرد رد فعل على الألم.

يتجلى في رسالة الكندي أثر واضح للمفهوم الرواقي الطمأنينة (-Ataraxia الأتاراكسيا)، ذلك الصفاء النفسي الذي ينشأ عن تجاوز الاضطرابات والانفعالات المزعجة للالتزان الداخلي، فالكندي لا ينظر إلى الطمأنينة بوصفها حالة سلبية من الانفصال عن الواقع بل كحالة فاعلة من التوازن النفسي الناتج عن تسليح الإنسان بالعقل والحكمة في مواجهة تقلبات الحياة. ومن هذا المنطلق تصبح الفلسفة في نظره ليست مجرد ترف ذهني أو تأمل نظري، بل أداة عملية وفعالة تُعين الإنسان على اجتياز المعاناة اليومية والتصالح مع ما لا يمكن تغييره وتجاوز الانفعالات التي تعيق صفاء النفس. فهي، بحسب الكندي السبيل إلى التحرر من الاضطرابات الداخلية وتحقيق حالة من الاستقرار الروحي والعقلي تجعل من الإنسان سيداً لنفسه في مواجهة تقلبات الوجود^(١٧).

يمثل الحزن نقطة التقاء فريدة بين فلسفة الكندي والفلسفة الرواقية حيث يُنظر إليه كآلم يصيب النفس، وقد تناول كلاهما هذا الانفعال من منظور فلسفي عقلائي، لا بوصفه حالة عابرة بل كتجربة تستدعي الفهم والتوجيه. في رسالته «في الحيلة لدفع الأحزان»، يقدم الكندي حلاً عملياً لمواجهة الحزن عبر تعديل أنماط التفكير وتغيير العادات الذهنية مؤكداً أن معالجة الحزن ممكنة من

والتقلبات الحياتية. عن فهم عميق لطبيعة النفس الإنسانية ويؤكد أن الوعي بجذور الألم يسبق أي محاولة للتخلص منه أو التخفيف من حدته.

وعلى غرار الرواقين الذين يقولون ((أ) الحزن الذي يخضع للعقل ينمحي تماماً))^(١٨)، إذ يجعلون من العقل السلطة العليا لضبط الانفعالات والسيطرة عليها فإن الكندي بدوره يمنح العقل مكانة مركزية في تهذيب المشاعر وتنظيمها، غير أن ما يميز طرح الكندي هو نبرته الإنسانية فهو لا يدعو إلى كبت العاطفة أو إنكارها كما يفعل بعض الرواقين بل يؤكد على ضرورة فهم العاطفة وتوجيهها بعقل متأمل. ومن هذا المنطلق يصور الحزن كحالة قابلة للتجاوز لا من خلال الإنكار أو التبدل، بل عبر التأمل العقلي والانضباط الذاتي، في توازن دقيق يجمع بين الصرامة الفلسفية والرؤية النفسية الواقعية^(١٩).

رابعاً: تفكيك الحزن بين الذاتي والموضوعي

لمعرفة الحزن معرفة سليمة كما يرى الكندي لا بد من فهم طبيعته وتقسيمه إلى أقسام واضحة، بل وعلى وجه الدقة ينبغي أن نقوم بتفكيكه تدريجياً وبأسلوب منهجي حتى يصبح إدراكه أكثر سهولة ووضوحاً، وتغدو مواجهته ممكنة بالعقل. إذ يقول: ((إن الحزن لا يخلو أن يكون ما عرض منه أمراً هو فعلنا، أو فعل غيرنا))^(٢٠)، في هذا النص يصنف الكندي الحزن إلى نوعين بحسب مصدره: حزن ذاتي ناتج عن أفعالنا نحن، وحزن خارجي

الفلسفتان تشتركان في الاعتقاد بأن الحزن ليس حالة ثابتة، بل هو ظاهرة قابلة للتغيير والتحكم حسب الفقد والالم، ومع ذلك تختلف المقاربتان في كيفية التعامل مع هذه الظاهرة، الكندي يشدد على أهمية التغيير السلوكي والعقلي، حيث يرى أن التعديل في الأنماط الفكرية اليومية والعادات يمكن أن يساعد الإنسان على تجاوز الحزن، بينما في الرواقية يركز سينيكا على التدريب العقلي والنظرة الفلسفية الصحيحة للأشياء حيث يتم التغلب على الحزن عن طريق الفهم العميق لأسباب الحزن وإعادة تقييم الأحداث والظروف بشكل عقلائي، بحيث يحقق الشخص الراحة الداخلية بعيداً عن التعلق الزائد بالأشياء المادية أو الأهداف الدنيوية.

في تناوله لما يسميه «فقد المحبوبات» يرى الكندي أن الحزن ينشأ نتيجة فقدان الإنسان لما يجب سواء كان ذلك شيئاً مادياً كخسارة ممتلكات أو أشخاص مقربين أو أمراً معنوياً كخيبة أمل أو ضياع غاية كان يسعى لتحقيقها. وينطلق الكندي من مبدأ أساسي يتفق فيه مع الفلاسفة الرواقين، إذ يقول: ((كل ألم غير معروف الأسباب، غير موجود الشفاء))^(١٧)، يبين النص مبدأً عقلياً واضحاً وهو أن إدراك سبب الألم شرط أساسي لعلاجه. فالكندي يرى أن الإنسان لا يستطيع تجاوز الحزن أو المعاناة النفسية ما لم يتعرف بدقة على مصدرها تماماً، كما يعجز الطبيب عن معالجة المرض دون معرفة أسبابه، ويكشف هذا التصور

في هذا التصور لا يعد العقل من وجهه نظر الكندي مجرد أداة لفهم الانفعالات أو السيطرة عليها، بل يُعد المرجع الأسمى الذي يعيد تشكيل العلاقة بين الإنسان وذاته، ويحرره من الخضوع لانفعالات تتعلق بأمور خارجة عن إرادته أو تتحكم فيه بواسطة عوامل غير قابلة للتنبؤ. ومن هنا فإن أولى خطوات مقاومة الحزن تبدأ بالوعي العميق بمصدره، ثم العمل على تغييره أو التكيف معه بطريقة تدعم السعي نحو السلام الداخلي وتصفية النفس من الانفعالات المضللة في سبيل الوصول إلى السكينة والتوازن.

تنضح هذه الفكرة بروح الفلسفة الرواقية التي يظهر أثرها واضحاً على فكر الكندي، ما يدل على معرفته بهذه المدرسة وتأثره الواضح بمبادئها، إذ يعد التمييز بين ما يقع ضمن إرادتنا وما يتجاوز نطاقها من المبادئ المركزية في الأخلاق الرواقية. هذا التمييز لا يعبر فقط عن موقف فلسفي، بل يشكل أداة عملية لمواجهة اضطراب العالم وتقلباته، اقترح الرواقيون أن السعادة لا تنال بمحاولة السيطرة على الخارج بل بالتحكم في الداخل أي في الأفكار والرغبات وردود الأفعال. وهو ما عبر عنه إكيتيوس بقوله: ((إذا أردت أن تكون سعيداً، فلا تعلق سعادتك بما لا تملك سلطة تغييره، بل اجعلها رهينة لما هو بين يديك وحدك^(٢٢)، إن هذا التمييز بين ما هو تحت سيطرتنا وما لا يقع ضمن إرادتنا لا يعد مجرد تمرين فكري بل يحمل في طياته هدفاً أخلاقياً جوهرياً، فهو يوجهنا نحو التركيز

تسبب فيه الآخرون. فالذاتي ينبع من قراراتنا أو أخطائنا، أما الخارجي فمصدره ظلم أو أذى من الغير.

تقوم هذه الرؤية لماهية الحزن على أساس عقلائي دقيق، قوامه فرضية فلسفية مركزية مفادها أن الحزن بوصفه انفعالاً يعطل قوى النفس ويقيد حركتها نحو الخير والكمال، ولا يعالج بالأداة ذاتها التي يصدر عنها، أي العاطفة بل لا بد من مقارنته بالعقل بوصفه ملكة التفكيك والتمييز وإعادة التقدير. فالكندي لا ينظر إلى الحزن كضرورة وجودية تفرضها الطبيعة بل كحالة قابلة للتفسير والمراجعة وموقف قد يتخذه الإنسان نتيجة غياب الوعي أو قصور في النظر، لا نتيجة حتمية لا يمكن الفكك منها.

ومن هذا المنطلق لا يكون التمسك بالحزن خياراً محايداً بل قراراً يعارض مقتضى العقل ويخالف وظيفته، لأن الاستمرار فيه يعد في جوهره شكلاً من أشكال التنازل عن سلطة العقل لصالح انفعال أعمى، ينتج الشقاء ويعطل إمكانات النفس. ومن هنا تأتي دعوة الكندي: إذ يقول ((ينبغي إذا لم يكن ما نريد أن نريد ما يكون، وأن لا نختار دوام الحزن على دوام السرور.... والحزن والسرور ضدان لا يثبتان في النفس معاً))^(٢٣)، هذا الراي يضعنا أمام ضرورة أخلاقية وعقلية في آن واحد، مفادها أن الحزن والسرور نقيضان لا يثبتان معاً في النفس، وأن الميل إلى أحدهما يستتبع إقصاء الآخر.

للانفعال أو التهاوي.

خامساً: جدلية الحزن واللاحن: بين الكون والفساد

الحزن في جوهره استجابة وجدانية تنبع من وعي الإنسان بالفقد أو النقص أو التهديد، ومن منظور الطبيعة، يصعب إنكار أن الحزن يشكل جزءاً أصيلاً من التركيبة الشعورية للإنسان، وقد ذهب بعض الفلاسفة مثل أرسطو إلى اعتبار العواطف - ومن ضمنها الحزن - عنصراً لا غنى عنه في الحياة الأخلاقية شريطة أن تكون موجهة بالعقل^(٢٥)، فالحزن في هذا الإطار ليس انفعالاً عشوائياً، بل تعبير عن وعي أخلاقي ومعرفي تجاه ما يطرأ في العالم من مأسٍ وظروف.

اعتمد الكندي في تصوره هذا على منهج عقلائي ينبع من إطار فكري إسلامي مستعيناً كذلك بقوانين الكون والفساد. فهو يرى أن المصائب والنكبات تشكل جزءاً جوهرياً من النظام الكوني، حيث يرى أن منشأ الحزن يعود إلى جهلنا بحقيقة الأشياء، وإلى أوهامنا بأن ما نمتلكه من مال أو أربة باقٍ ودائم. في حين أن الواقع يؤكد أن كل ما في هذا العالم محكوم بالفساد والزوال، وأن التعلق بما هو فانٍ هو ما يولد الحزن في نفوسنا فيقول: ((إن لم يكن فساد لم يكن كائن. فإذا إن أردنا أن لا تكون مصائب، فقد أردنا أن لا يكون الكون والفساد في الطبع، فإن أردنا أن لا يكون ما في الطبع، فقد أردنا الممتنع))^(٢٦)، تنطلق

على ما نملك القدرة على تغييره، مع تجاوز ما لا نستطيع التحكم فيه لكونه لا يؤدي إلا إلى القلق المستمر والحزن. أما عندما توجه إرادتنا نحو ما هو بين أيدينا فإن الإنسان يحقق بذلك نوعاً من الحرية الحقيقية التي تنبع من الوعي الكامل بالقدرة على التحكم. وهذا التوجه يتوافق مع ما أسماه الكندي بالحزن الذاتي، الذي يتعلق بما هو داخلي وضمن دائرة الإرادة مقارنة بالحزن الموضوعي الذي يرتبط بالأحداث الخارجية كالموت وفقد الأربة.

في الفلسفة الرواقية يُعد الحزن نتيجة لحكم خاطئ تصدره النفس على أمر لا يستحق هذا الانفعال، مما يجعله انفعالاً غير عقلائي. هذا الحزن غالباً ما يرتبط بما هو خارج عن سيطرة الذات وبالتالي لا ينبغي أن يزعزع توازنها أو يقلقها^(٢٣)، من هذا المنظور يتفق الكندي مع الرواقيين في دعوته إلى تحرير النفس من قبضة الحزن عن طريق الوعي والتمييز العقلي. فيقول ((إن كنا نفعّل ما نريد - ولسنا نريد أن نحزن - فنحن نريد ما لا نريد. وهذه خاصية العادم عقله، فنحن إذن عُدّماء لعقولنا))^(٢٤)، يعول الكندي هنا على دور العقل في مواجهة الحزن كما عند الرواقيين، لأن غيابة يجعل التعامل مع الحزن أكثر تعقيداً باعتبار أن العقل هو الجسر الذي يصل بين الإرادة والفعل، وغياب هذا التوافق يكشف خللاً في التفكير السليم، من هنا يدعو الكندي إلى فهم أسباب الحزن سواء كانت داخلية أم خارجية والتعامل معها من منطلق عقلي يجب أن يكون أداة للتمييز والتوجيه، لا سبباً

جميلة. فالكندي يشبها بأمثلة من حصى الأرض وأزهار الشجر وغيرها ليرز من خلالها أنها مجرد رموز لما هو زائل ومؤقت في هذا العالم.

يرى الكندي أن العالم الحسي عالم لا يعول عليه لأنه ليس موطن الحقيقة، بل ميدان ابتلاء واختبار. فالحقيقة في نظره لا تدرك في هذا العالم الزائل، بل في عالم آخر هو عالم ما بعد الموت. ومن هذا المنطلق لا يرى الكندي أن الإنسان ينبغي أن يحزن على ما يفقده في هذا العالم لأنه ليس إلا موطناً للزوال حيث يبدأ بنداء: ((فيا أيها الإنسان الجاهل: ألا تعلم أن مقامك في هذا العالم، إنما هو كلمحة، ثم تصير إلى العالم الحقيقي، فتبقى فيه أبد الأبد، وإنما أنت عابر سبيل في هذا الأمر، إرادة باريك، عز وجل))^(٢٨)، يحمل هذا التصور ملامح واضحة من التأثير الأفلاطوني لا سيما في تقسيم الوجود إلى وجود حقيقي ووجود زائل، غير أن الكندي لا يكتفي بنقل هذا التصور بل يعيد توظيفه ضمن أفق إسلامي واضح إذ يرتبط عنده «عالم الحقيقة» بالحياة الآخرة، ويبلغ الزهد عند الكندي ذروته حين يُعيد التأكيد على هذه الرؤية في موضع آخر من رسائله بلغة مشبعة بحس ديني وزهدي عميق ومؤدى فلسفة الكندي في الكون والفساد، والتي تناوها في واحدة من أبرز رسائله الفلسفية متأثراً في ذلك بفلاسفة اليونان وعلى رأسهم أرسطو^(٢٩)، وهذا الأمر لا يحتاج إلى تدقيق كبير أو استلال، إذ يرى الكندي أن العالم الطبيعي مؤلف من العناصر الأربعة (التراب، والماء، والهواء،

هنا رؤية الكندي من فهمه العميق لقوانين الكون والفساد حيث تعتبر جزءاً من هذا العالم الطبيعي الذي يخضع للتغير والزوال. فالمصائب وفقاً لرؤية الكندي هي نتيجة طبيعة الأشياء الفانية والفقدان جزء أساسي من الحياة، ومن خلال هذا الوعي يمكن للإنسان أن يتخلص من الحزن لأن الحزن على ما هو زائل لا يجب أن يسيطر على قلوبنا وعقولنا.

فالكندي يرى انطلاقاً من مقتضيات العقل، أن لا شيء في هذا العالم الحسي الزائل يستحق أن يحزن عليه، وهذه الرؤية تشكل الفكرة المركزية التي بنى عليها تأمله حيث أجرى مقارنة بين العالم الدنيوي والعالم الآخروي كاشفاً عن طبيعة كل منهما ومتطلباته وحدوده، ويتجلى في هذا الطرح حضور قوي للنزعة الزهدية التي تتغلغل في صميم أفكاره الكبرى وتفصيله الدقيقة ضمن هذا السياق فيقول: ((ما أقبح بنا أن نكون من مخدوعي حصى الأرض، وأصداف الماء، وأزهار الشجر، وهشيم النبات.. ولجج البحار وهب النار... فإن هذه مخزاناتنا التي تحل عندنا هذا المحل. فإن حزننا فينبغي لنا أن نحزن لانقطاعنا عن محلنا الحق))^(٣٠)، يستهل الكندي هذا المقطع بنبرة تقريرية تأملية يعبر من خلالها عن نقده العميق لانغماس الإنسان في لذائذ الدنيا وزينتها الزائلة. وهو يُدين خضوع النفس البشرية لهذه الموجودات المادية، التي لا تملك قيمة حقيقية من منظور العقل، لأنها فانية بطبيعتها وإن بدت في ظاهرها

أزلية تنتهي بانبعث النار الكونية المعروفة باسم (الإكيبوروسيس - ekpyrosis)، التي تعيد تشكيل الكون في دورة جديدة على النحو ذاته في تكرار أبدي منظم، ومن هذه الفكرة لا يعد الحزن خروجاً عن النظام الطبيعي بل ينظر إليه كتجربة إنسانية تتوافق مع الانسجام الكوني وقابلة للفهم والتهذيب، فعندما يُفهم الحزن عقلياً، يصبح وسيلة لاختبار الحكمة وتحقيق الاتزان الداخلي بدلاً من أن يكون مصدراً للاضطراب أو الخلل النفسي^(٣١).

سادساً: العاطفة والحزن: بين الطبيعة البشرية ونداء العقل

نظر كل من الرواقين والكندي إلى الحزن بوصفه حالة يجب التحرر منها، لأن السعادة في نظرهما تقوم على تحقيق حالة من السكينة الداخلية أو «الأثاراكسيا»، وهي السلام النفسي الناتج عن السيطرة والتحرر من الانفعالات ومن أبرزها الحزن. فالعاطفة عندما تترك بلا ضبط تهدد توازن الإنسان الداخلي، والحزن - بحسب رؤيتهما - ينشأ من التعلق بأشياء خارجية عن إرادتنا، كالموت أو الخسارة أو تقلبات الحياة. لذلك يريان أن العقل هو الوسيلة المثلى لضبط هذه الانفعالات وتجاوزها، بتحرير النفس من أسر ما لا يمكن التحكم فيه.

انطلاقاً من هذا الأساس يرى الكندي أن الحزن ليس صفة أصيلة ملازمة للطبيعة الإنسانية،

والنار) وما ينتج عن تفاعلها من مركبات والتي يسميها الكندي: الحرث، والنسل، والمعادن، وما يشبهها - فهي من حيث ذواتها كائنات فاسدة، أي معرضة للفناء والزوال، لكنها باقية من حيث صورها النوعية بقدر ما شاء الله لها من دوام، وهذه النظرة يميز الكندي بين عالمين: العالم الحسي المتغير والعالم العقلي الثابت. ومن هنا فإن التوجه الفلسفي للكندي يدعو الإنسان إلى السمو بالعقل عن التعلق بالمادي والزائل والسعي نحو المطالب العقلية الثابتة التي تحرر النفس من الحزن وتقربها من حال «اللا حزن»، الذي هو تجلٍ للسكينة النفسية والاتزان العقلي^(٣٢).

تتفق رؤية الكندي إلى حدٍ كبير مع الفكرة الرواقية حول التوافق مع الطبيعة، رغم اختلاف منطلقاتهما، فالكندي المتأثر بالفلسفة السقراطية الأفلاطونية ينطلق من رؤية دينية تقسم الوجود إلى عالمين: عالم الحقائق الثابتة بعد الموت، وعالم الفساد المتغير الذي نعيش فيه. وفي هذا السياق يرى أن الحزن يرتبط بالعالم الحسي الزائل ولذلك لا ينبغي الانغماس فيه لأنه نابع من واقع لا ثبات فيه ولا يستحق التعلق أو الحزن عليه.

في المقابل الرواقية لا تسعى إلى إنكار الحزن أو قمعها، بل إلى فهمه في إطار النظام الكوني المنظم بالعقل أو ما يعرف ب«اللوغوس». ويستند هذا الموقف إلى تصور الرواقين لطبيعة العالم، فالكندي الذي يرى أن العالم الحسي فاسد وزائل، كذلك يعتقد الرواقيون بأن الكون يسير وفق دورة طبيعية

فقدان صديق، فالبكاء أمر طبيعي ومغتفر، ما دام لا يتحول إلى نحيب وانهيبار. يجوز لنا أن نبكي، لكن دون إفراط، مع ضبط مشاعرنا بقوة العقل والإرادة. فليس من اللائق أن تظل أعيننا جافة، ولا أن تغرق في الدموع. المطلوب هو الاتزان: أن نحزن بإنسانيتنا، لا أن ننهار بعاطفتنا ((٣٣))، هذا ما يعبر عنه الموقف الرواقي المتزن، الذي لا يدعو إلى كبت الحزن تماماً، ولا إلى الانغماس فيه، بل إلى الاعتراف به والتعبير عنه دون إفراط أو انهيار. ولكن بحكمة وتعقل دون أن نفقد السيطرة على مشاعرنا. فالحزن ليس ضعفاً بل تعبير صادق عن الألم، بشرط أن يظل ضمن حدود العقل والإرادة. فالإنسان لا يُطلب منه أن يكون بلا مشاعر بل أن يكون قادراً على توجيه عاطفته بحيث لا تؤذيه ولا تُخلُّ بتوازنه الداخلي

وتتجلى هذه النظرة بوضوح في فلسفة الكندي على غرار الرواقيين في رؤيتهم للعاطفة والحزن، إذ يرى أن الحزن ليس قادراً محتوماً، بل نتيجة لسوء توجيه العاطفة وضعف سيطرة العقل عليها، فهو لا ينكر وجود المشاعر، بل يعترف بها كجزء من الطبيعة الإنسانية، لكنه يدعو إلى تهذيبها وتوجيهها بعقلانية. فالكندي تبنى الروح الرواقية في تناوله لمشكلة الحزن إذ ارتدى عباءتها الفلسفية لينسج منها معالجة عقلانية في تناول موضوع الحزن حيث يربط بين حضور العقل وتراجع الحزن، ويرى أن الألم النفسي ينشأ من تعلق النفس بالأمر الزائلة، لا من جوهر الأشياء نفسها، فكلما اشتد التعلق

بل هو حالة نفسية طارئة تنشأ بفعل العاطفة نتيجة خلل في إدراك حقيقة الأشياء. فالحزن في نظره لا ينبثق من الواقع ذاته أو من جوهر الموجودات، بل يتولد من تعلق النفس بما هو زائل أو بما تعجز عن امتلاكه والاحتفاظ به. فيقول: ((الحزن واجب أبداً: إن اقتنينا أو لم نقتن. فإذا قد وجب إن كان يجب أن نحزن أبداً، أن لا نحزن البتة. وإن نحن اقتنينا أو لم نقتن، أن لا نحزن البتة. فهو كله تناقض وخُلف)) (٣٣)، هنا يرى الكندي أن العاطفة الكامنة في النفس البشرية هي المسؤولة عن تولد الحزن فيها، وذلك بسبب طبيعتها الجوهرية، فمصدر هذا الانفعال يعود إلى رغبة النفس في التملك وارتباطها العاطفي بالأشياء الزائلة، ومع أن هذا التعلق يفضي إلى الحزن، فإنه ليس أمراً دخيلاً على النفس بل هو جزء أصيل من ماهيتها وتكوينها الطبيعي.

تعكس هذه الفكرة بوضوح تأثر الكندي بالفلسفة الرواقية ورجالاتها في نظرتهم إلى العاطفة والحزن، فكما هو الحال لدى الرواقيين، لا يرى الكندي أن العاطفة يمكن اقتلاعها من النفس البشرية أو إنكار وجودها، بل يؤمن - مثلهم - بأنها جزء طبيعي من كيان الإنسان لكنها تحتاج إلى ضبط وتوجيه بالعقل. فالعاطفة من هذا المنظور هي المدخل الذي يتسلل منها الحزن إلى النفس خاصة عندما تتعلق بما هو غير عقلي أو مؤقت. وتنسجم هذه الرؤية مع ما قاله سينيكا: ((علينا ألا نقسو على أنفسنا بمنع الدموع عند

نظرته للعاطفة بالرواقية حيث أكد على دورها في نشوء الحزن. فالعاطفة بما تحمله من حب وتعلق، تعد السبب المباشر للحزن عند فقدان ما نملك أو ما ترتبط به. ويقر الكندي بأن الحزن يكون مبرراً إذا تعلق بخسارة القيم والمعاني النفسية، لا بالماديات الزائلة، مؤكداً أن التعلق المفرط هو ما يستدعي التهذيب والتقويم بالعقل، فيقول: ((أن... الأشياء التي هي لنا وغير مشاركة لغيرنا فهي التي لا تصل إليها الأيدي ولا يملكها علينا غيرنا، والتي هي قنية أنفسنا من الخيرات النفسانية. فهذه هي التي لنا العذر في الحزن عليها إن فقدناها من أنفسنا))^(٣٥)، فالحزن من وجهة نظره لا يكون مبرراً إلا إذا كان على ما نفقده من خيرات النفس الداخلية، مثل الفضائل والقيم لأنها أشياء نملكها حقاً ولا يستطيع أحد أن يسلبها منا، أما الأشياء الخارجية فتكون موقته، فلا داعي للحزن عليها، لأنها ليست ملكاً لنا وزوالها أمر طبيعي، لذا يربط الكندي بين ضعف إدارة العاطفة وظهور الحزن، مؤكداً أنه يمكن تقليص هذا الحزن إذا وُجّهت العاطفة بشكل عقلائي صحيح

كلا الرواقية والكندي لا يدعوان إلى إلغاء العاطفة أو قمعها، بل إلى تهذيبها وضبطها بالعقل. فالعاطفة جزء من الطبيعة الإنسانية، وهي قوة داخلية لا يمكن محوها، لكنها قابلة للتوجيه والتقويم والحد من اندفاعها. الكندي لا ينكر أن الإنسان يجب ويشعر بالارتباط والشوق لكنه يرى أن الحزن الناتج عن هذه العواطف ليس قدراً

بما لا يدوم ازدادت قابلية الإنسان للانكسار، والعلاج - كما يرى - ليس في كبت العاطفة، بل في تقويمها وتوجيهها بما يحفظ الاتزان الداخلي.

في نظر الرواقية والكندي، تعد العاطفة الباب الذي يتسلل منه الحزن إلى النفس، ولهذا تتضح العلاقة العميقة بين العاطفة والحزن في فلسفتها. فالعاطفة إذا لم تضبط بالعقل قد تجر الإنسان إلى الحزن والاضطراب. ومن هذا المنطلق يدعوان إلى تبني موقف متزن وعقلائي في التعامل مع أحزان الآخرين، مع الحذر من الانجرار العاطفي غير الواعي خلف مشاعر الحزن التي يُظهرها الناس، دون التمييز بين ما هو حزن مبرر وما هو مجرد انفعال زائد. يقول ماركوس أوريليوس: ((لا تدع انطباع الحزن لدى الآخرين يأخذك بعيداً دون تمييز، أعنهم نعم كأفضل ما يكون العون وبقدر ما يقضي الموقف، حتى لو كام حزنهم هو لفقدان شيء غير فارق، ولكن لا تتوهم أن ما فقدوه يمثل ضرراً حقيقياً، تلك عادة سيئة في التفكير))^(٣٤)، يمكننا أن نستشف من هذا النص رسالة واضحة أرادت الرواقية إيصالها وهي أن تتعاطف مع الآخرين دون أن نفقد قدرتنا على التمييز العقلي. فالرواقية تدعو إلى أن نمد يد العون للمحزونين لكن دون أن ننخرط في أحزانهم انخراطاً غير واع، أو نظن أن كل ما يجزئهم هو بالضرورة خطب جلل أو ضرر حقيقي يستدعي نفس الشعور. التعاطف مطلوب لكن بوعي وحكمة.

والأمر ذاته نجده في فلسفة الكندي، إذ تتأثر

التحكم والانضباط.

وفي هذا السياق يعرض الكندي خمس طرق أساسية للتغلب على الحزن تُجسد جوهر مشروعه الفلسفي في مقاومة انفعالات النفس عبر قوة العقل والتأمل. وسنسعى إلى بيان هذه الوسائل عن طريق مقارنتها بمبادئ المدرسة الرواقية بغية الكشف عن عمق التأثير الذي تركته الفلسفة الرواقية في تصور الكندي للعلاج النفسي والانفعالي.

الطريقة الاولى: أحكامنا مصدر معاناتنا: يرى الرواقيون أن الحزن لا ينبع من الأحداث أو الأشياء الخارجية نفسها بل من الطريقة التي ندرکها أو نحكم بها عليها. أي أن الحزن ليس نتيجة مباشرة لوقوع شيء سيء، بل نتيجة اعتقادنا أن ما حدث سيء في الأصل، وقد عبر الفيلسوف الرواقي «سينيكا» عن هذا المعنى بوضوح حين قال: ((ليس الحزن في الأمور التي تحدث، بل في حكمنا عليها))^(٣٦)، الفكرة نفسها يعيد تأكيدها إبيكتيتوس فيقول: ((ليست الأشياء بحد ذاتها ما يزعج الناس، بل أحكامهم عنها هي ما يزعجهم))^(٣٧)، وفقاً لهذا الفهم فإن الإنسان لا يكون ضحية للظروف، بل ضحية لتفسيره الذاتي لها ومن ثم فإن الطريق لتجاوز الحزن يكمن في تصحيح هذا التفسير أو إعادة النظر فيه بعقلانية.

فالرواقية لا تنكر وجود الحزن، كما ذكرنا سابقاً ولا تعتبره عيباً أخلاقياً، بل تراه علامة على خلل في طريقة التفكير وتقدير الأمور. وبناءً على ذلك فإن

محتوماً، بل هو نتيجة لسوء استخدامها. والأمر نفسه نجده في الفلسفة الرواقية التي تعترف بوجود العاطفة كجزء من النفس ولكنها تؤكد ضرورة التحكم فيها وضبطها بالعقل. فالعاطفة في نظرهم هي الباب الذي يدخل منه الحزن إلى النفس.

ولذا يقترح كل من الرواقية والكندي الممارسة العقلية التي تساعد الإنسان على التمييز بين ما يستحق التعلق به وما لا يستحق وبين ما يمكن الاحتفاظ به وما لا يمكن، حتى لا يصبح عبداً لعاطفته أو فريسة لحزنه. مع تأكيدهما المستمر على ضرورة إخضاع العاطفة للعقل حيث يُعدان ضبطها مفتاحاً لتحرير الإنسان من الأحزان ووسيلة لرفع النفس نحو الاستقرار والطمأنينة.

سابعاً: علاج الحزن: من زهد الدنيا إلى تأمل الفناء بعد أن أوضحنا ماهية الحزن وتعمقنا في تحليل أسبابه وسياقات نشأته، فضلاً عن علاقته بالانفعالات الأخرى، ولا سيما العاطفة بوصفها منشأ هذه الانفعالات، تناولنا أيضاً دور العقل في توجيهها والحد من تأثيرها. ننتقل الآن إلى استكشاف سبل علاج هذا الشعور الإنساني العميق. وفي هذا الإطار، تبرز مساهمة الكندي بوصفها محاولة فلسفية رائدة في الفلسفة الإسلامية لمعالجة الحزن من منظور عقلائي، استلهم فيها بوضوح مبادئ الفكر الرواقي، لاسيما في ما يتعلق بكيفية التعامل مع الآلام النفسية والانفعالات السلبية عبر تهذيب النفس وتدريب العقل على

السلبى» يقوم هذا التمرين أو التخيل على تدريب النفس على تقبل زوال ما هو فانٍ والتذكير المستمر بأن كل ما نحبه أو نخشاه محكوم بالزوال والموت. في الفكرة هذه يتشجع الإنسان على التأمل في الطبيعة العابرة لكل شيء واستحضار إمكانية فقدان ما يملكه أو يتعلق به، لا بغرض التشاؤم بل بهدف تهذيب التعلق وتخفيف وطأة الحزن. كما يبحث هذا التمرين العقلي على التحرر من الانفعالات المرتبطة بما يقع خارج نطاق الإرادة الإنسانية وما لا سبيل إلى تغييره بما يمنح النفس قدراً من التوازن والطمأنينة في مواجهة تقلبات الحياة.

يرى الكندي في رؤيته للتمرين النفسي أن من الوسائل الفعالة في تجاوز الحزن الناتج حتى بعد تحقق المرغوب ونيله الاعتماد على تخيل الأشياء التي يتمتع بها الآخرون، وتثبيت صورها في العقل والنفس خلال المدة التي قُدرت لها. ويعبر عن ذلك بقوله: ((إذا شاهدنا الأشياء التي يتمتع بها الناس من المحبوبات في العقل - أعني قدر ما بالنفس إليه الحاجة في تثبيت صورتها أيام مدتها المقسومة لها وإثارة فعلها، وما دفع عنها الألم وأفادها الراحة - تناولناه بالأمر الأجل بقدر الحاجة، ولم نلقها قبل مماسنتنا إياها ومشاهدتها^(٤٠)، عن طريق هذا التمرين العقلي يرى الكندي أن الإنسان يستطيع أن يظفر بلذة عقلية تتجاوز اللذة الحسية الآنية، لأن الصورة الذهنية تظل باقية في العقل ولا تفتنى كفناء الأصل. ومن هذا المنطلق، يعد التخيل

تجاوز الحزن لا يتم من خلال كبتة أو تجاهله، بل بتدريب العقل على التمييز بين ما يمكننا التحكم فيه وما لا يمكننا السيطرة عليه. بعبارة أخرى، كما قال إبيكتيتوس: ((من يريد أن يكون حراً، عليه أن يترك الأمور التي لا تتعلق به))^(٣٨)، فالأحداث الخارجية عن إرادتنا - كفقدان شخص أو ضياع ممتلكات أو زوال منصب - لا ينبغي أن تكون مصدراً لمعاننا واحزاننا، لأن الألم الناتج عنها ينبع من تعلقنا بما هو خارج عن قدرتنا وليس من الحدث ذاته.

يرى الكندي على غرار الفلاسفة الرواقيين أن الحزن ليس قدراً حتمياً بل حالة نفسية قابلة للترويض عبر تهذيب الفكر وضبط الانفعالات. فالعقل في نظره هو الذي ينبغي أن يتولى زمام القيادة، لا أن يُستدرج خلف العواطف العنيفة أو الأوهام الخادعة. ولذلك لا ينبغي أن نحزن على ما ليس في نطاق قدرتنا أو مما لا حيلة لنا في دفعه، إذ أن الحزن على ما لا يمكن تغييره هو ضرب من إضاعة الوقت وإذلال النفس وإضعافها. ومن هذا المنطلق تبدأ أولى خطوات التحرر من الحزن بإعادة النظر في طريقة إدراكنا للأشياء، فمصدر الحزن لا يكمن في الوقائع ذاتها بل في تصوراتنا عنها، وفي مقدار الأهمية التي نُضيفها عليها^(٣٩).

الطريقة الثانية: التخيل أو التمرين النفسي
انطلاقاً من هذا التصور يدعونا الكندي إلى ما يمكن اعتباره شكلاً من أشكال «التمرين النفسي» وهو ما يُطلق عليه فلاسفة الرواقية اسم «التخيل

شاء لها أن تطول))^(٤٢)، وعليه أن ينهض بهذا الدور بكرامة وازتان وتسليم داخلي دون سحق أو مقاومة لما تقرره الطبيعة من نظام كوني صارم لا يخضع لرغبات الأفراد فالرواقية تدعو إلى التعامل مع الحزن لا بالإنكار أو الانغماس فيه، بل من خلال التسليم العقلائي والقيام بالواجب دون أن تسيطر المشاعر السلبية على النفس. فالفرد وفق هذا التصور لا يمتلك حرية تغيير مجرى الوقائع، لكنه يتمتع بحرية اختيار رد فعله تجاهها وأسلوب أدائه لما وُكِّل إليه من مهام في ظل هذا النظام العقلي الحاكم.

هذا التصور الجبري المنظم لسير الأحداث في العالم، الذي يُعرف في الفلسفة الرواقية بـ (اللوجوس-Logos)، هو نفسه ما يُسميه الكندي "القدر". فالكندي يرى أن العالم محكوم بسلسلة دقيقة من الأسباب والمسببات لا يخرج عنها شيء وكأنها قانون طبيعي صارم أو نظام علي شامل يتحكم بكل ما في الوجود، ولذلك، فالقدر عنده لا يفهم باعتباره صدفة أو عشوائية، بل هو تجل لنظام كوني دقيق ومنسق يشمل جميع الكائنات ويوجه حركة العالم في انسجام تام وانتظام محكم^(٤٣).

وعن طريق هذا التصور فإن الكندي كالرواقين لا يدعو إلى الاستسلام السلبي، بل إلى القبول العاقل والاعتراف بأن ما يجري من أحداث وإن خرج عن إرادتنا إلا أن التحكم في ردود فعلنا تجاهها هو موضع الحرية والمسؤولية الأخلاقية.

من أهم الوسائل النفسية في التخفيف من وطأة الحزن والتخلص منه وهو مبدأ اعتمدت عليه لاحقاً بعض الأساليب الحديثة في العلاج النفسي والسلوكي، مثل التسكين المنظم والتحصين التدريجي.

استقى الكندي فكرة التمرين من الفلسفة الرواقية التي اقترحت عدداً من الأساليب العملية لمواجهة الحزن ومن أبرزها ما يعرف بـ «التخيل السلبي»، أي تدريب النفس على تصور أسوأ ما قد يحدث مسبقاً، كي لا يفاجئها الألم عند وقوعه. وقد عبر ماركوس أوريليوس عن هذا التمرين بوضوح في كتابه التأملات، فيقول: ((قُلْ لنفسك حين تقوم في الصباح، اليوم سألقى من الناس من هو متطفل ومن هو جاحد، ومن هو عات عنيف، وسأقابل المغادر والحسود ومن يؤثر نفسه على الناس. لقد ابتلي كل منهم بذلك من جراء جهله بما هو خير وما هو شر))^(٤١)، هذه الممارسة لا تهدف إلى التشاؤم، بل إلى التهيؤ العقلي لقبول ما يحدث دون اضطراب، وتوقع الشدائد كوسيلة لبلوغ الاتزان والطمأنينة في مواجهة تقلبات الحياة.

الطريقة الثالثة: القدر أو الجبرية الطبيعية :
عالجت الفلسفة الرواقية الحزن بوصفه تجربة يمكن تجاوزها عبر جملة من المبادئ الجوهرية أبرزها مفهوم «الواجب الكوني»، حيث يؤمن الرواقيون بأن لكل إنسان دوراً فريداً في الوجود أشبه بمسرحية ((تجري أحداثها مثلما يشاء لها المؤلف، قصيرة إذا شاء لها القصر، وطويلة إذا

وتمثلنا في حال المحزن محزناً بالسالفات من محزناتنا
والمحزنات التي شاهدنا وما آلت إليه من السلوة،
فإن لنا بذلك قوة عظيمة على السلوة^(٤٥)، وهذا
يدعو إلى إجراء مقارنة بين الحزن الراهن والأحزان
الماضية، لنُدرِك أن ما نشعر به من ألم اليوم، مهما بلغ
ليس إلا حالة مؤقتة، مصيرها إلى الزوال مع مرور
الزمن طال أمدها أم قصر.

ويضرب الكندي مثلاً في سياق حديثه بقصة
الإسكندر المقدوني عند اقتراب أجله، إذ وجه
رسالة إلى والدته يُواسيها فيها ويوجه إليها النصيح
والوصية، مذكراً إياها بأن كل ما يقع تحت سلطان
الكون والفساد مصيره إلى الفناء، وأنه - الإسكندر
- لم يكن في حياته يرضى لها أن تشبهه بأمهات
الملوك الصغار، فلا يليق بها عند وفاته أن تتصرف
بها لا يليق بمقامها ومقامه. وطلب منها - وكان
هذا الأهم في وصيته - أن تدعو فور بلوغها نبأ
وفاته الناس من جميع أرجاء مملكته إلى مائدة عامرة
بالطعام والشراب والفرح، ثم تأمر بالآب يحضر إلى
المجلس أحد لم يصبه الحزن، فلم يأت أحد، ودلالة
ذلك على أن الحزن قد أصاب جميعاً فعرفت
ذلك. ثم نادى فيهم: «يا إسكندر ما أشبهه أو أخرك
بأوائلك»، فيكون في ذلك تذكير بزوال السلطان
والثروة، وأن الموت يُساوي بين الناس جميعاً، فلا
يبقى للإنسان إلا أثره وحكمته وما قدمه من خير.
وهي دعوة للتواضع والتأمل في حقيقة الحياة ومآل
الإنسان^(٤٦).

أستقى الكندي هذا الأسلوب التذكيري

وهكذا يصبح فهم القدر والتسليم له وسيلة من
وسائل العلاج النفسي وركيزة لتجاوز الحزن
والانفعال بما يعكس عمق التأثير الرواقي في فكر
الكندي الفلسفي والأخلاقي.

الطريقة الرابعة: عزاء الذاكرة أو التداوي
بالتجربة: سعياً لتجاوز الحزن وتبعاته النفسية
يطرح الكندي وسيلة عقلية أخرى تقوم على
استدعاء تجارب الذاكرة، من خلال تذكر الأحزان
السابقة واستعراض الكيفية التي تجاوزها الإنسان
مع مرور الزمن. فتأمل المرء لأتراحه الماضية وما
أعقبها من نسيان وتعافٍ، فيقول: ((أن نتذكر
أيضاً أن كل شيء فاتنا أو فقدناه فقد فات خلقاً
كثيراً وفقده خلقٌ كثير، كلهم قنع بفوته وفقدانه
وهو ظاهر البهج بعيدٌ من الحزن))^(٤٤)، فالذاكرة
في نظر الكندي أداة فعالة لتخفيف ثقل الحزن
الحاضر، وهو بذلك يحث الإنسان على وعي جمعي
بالحزن يدعو لأن يُدرِك أن ما فاته لم يكن استثناءً
يخصه وحده بل مر به كثيرون قبله فتجاوزوه
برضاً وسكينة، وواصلوا حياتهم ببهجة خالية من
الأسى.

يُقدم الكندي التذكر في هذا السياق كآلية ذهنية
تقوم على استحضار لحظاتٍ سابقة شهدت فيها
النفوس سلوتها عن أحزان مضت، بعدما طمرها
النسيان وقل أثرها. من خلال هذا التذكر الذي
يمنحنا كما يقول الكندي: ((من لطيف الحيلة في
ذلك تذكر محزناتنا التي سلونا عنها قديماً ومحزنات
غيرنا التي شاهدنا حزنهم بها وسلوتهم عنها،

منه، إذ ضاعت القبة في البحر فاجتهد نيرون في البحث عن شبيهة لها، ولم يُوفق، فغلب عليه الحزن والأسى^(٤٨). وهذا يعني كلما اشتد ارتباطك بشيء مادي، ازداد تأثرك عند فقدانه. ومن هنا يدعو سينيكا والكندي معاً إلى نوع من الزهد العقلي والاتزان الداخلي، يحفظ للإنسان استقراره النفسي، فلا يجعل سعادته مرهونة بأمور خارجية نادرة أو زائلة.

الطريقة الخامسة: الموت والتحرر من الحزن:
يشترك الكندي والفلاسفة الرواقيون في موقف فلسفي عميق تجاه الموت والحزن، يعتمد على مقارنة عقلية تهدف إلى التحرر من الانفعالات السلبية عبر الفهم والتأمل بدلاً من الإنكار أو الهروب. ويُعد الكندي من الأوائل الذين نقلوا هذا المنظور إلى الفكر العربي الإسلامي، متأثراً بالفلسفة اليونانية ولا سيما الفلسفة الرواقية.

ينظر كل من فلاسفة الرواقيين والكندي إلى الموت من زاوية فلسفية تحررية تتسم بنظرة عميقة تحفف من وطأة الحزن وتبشر بحقيقة تزيل الخوف. يرى الرواقيون أن الخوف من الموت ينشأ من جهل الإنسان بحقيقته، فالموت في نظرهم ليس فناءً نهائياً، بل هو انتقال إلى مرحلة جديدة من الوجود لأن ((الوجود الأرضي فليس إلا استعداداً لوجود آخر على نحو ما يضمنا رحم الأم عشرة شهور))^(٤٩)، ومن هذا المنطلق لا ينبغي اعتبار الموت شراً في ذاته، بل إن الحزن والخوف المرتبطين به هما ما ينبغي تجاوزه. فالفهم الحقيقي للموت يكشف عن

من الفلسفة الرواقية، بغية معالجة الحزن التي اعتمدت هذا المنهج بكثرة، وقد جسده سينيكا بوضوح في مسعاه للتخفيف من امه، فيما يعرف في الفكر الرواقي بـ«التعزية بالمشاركة» وهو تبني أسلوباً عقلياً لتجاوزه، يركز على مقارنة المصيبة الشخصية بمحن الآخرين. يقول سينيكا في رسالته إلى والدته ((ما من أحد لم يُصب في أهله أو وطنه أو نفسه. فأنت، يا أمي، لست الوحيدة التي غابت عنها سعادتها، ولا المصيبة الأولى في بيتنا، ولا أشدها وقعاً. لقد نُفي كثيرون، وذُبح كثيرون، ومات كثير من الأبناء قبل أمهاتهم))^(٥٧)، من خلال هذا التصوير يسعى سينيكا إلى وضع حزن والدته ضمن سياق أشمل، ليظهر لها أن ما تمر به ليس حالة استثنائية، بل جزء من طبيعة الحياة الإنسانية. وهذا الأسلوب يتكرر كثيراً في رسائله، حيث يعيد صياغة الألم لا كمحنة فردية بل كعنصر من التجربة الإنسانية المشتركة.

وينقل الكندي موقفاً لسينيكا في سياق رده على الإمبراطور الروماني نيرون دون أن يُصرح باسمه بشكل مباشر، وذلك حين سأله الأخير عن رأيه في قبة بلورية رائعة الصنع، كانت قد أُهديت إليه وأبهرت كل من وقعت عليها عيناه لجمها الأخاذ. فكان جواب الفيلسوف أن امتلاك مثل هذه القبة يكشف عن فقر خفي، لأن فقدانها سيورث صاحبها حسرة ويأساً، لعجزه عن تعويضها مما يدل على تعلقه بما لا يُقتنى إلا نادراً. وإن أصابها ضرر كانت المصيبة أعظم. وقد وقع ما حذر

بالفزع والانكار بل بالتفكر في طبيعته، والاعتراف بأن الفقد جزء لا يتجزأ من التجربة الإنسانية.

فالكندي وفلاسفة الرواقيين يدعوننا إلى تبني فلسفة حياة تتأسس على العقل والاعتدال والرضا الواعي بما هو محتوم، حيث يكون القبول بالموت لا استسلاماً، فهم يرون أن السلام الداخلي لا يتحقق إلا بإعادة تشكيل وعينا بالموت، ليس كعدو مخيف، بل كرفيق حتمي يكشف لنا هشاشة الوجود ويوقظ فينا شعوراً عميقاً بقيمة الحياة ولحظاتها العابرة. فالموت في هذا التصور ليس نهاية مروعة بل هو انتقال وعبور إلى مستوى آخر من الإدراك يحررنا من وهم الخلود، ويدفعنا نحو حياة أكثر اتزاناً، وأقل تعلقاً بما لا يدوم.

طبيعته غير المخيفة، ويحرر الإنسان من القلق، لأن الشر لا يكمن في الموت ذاته، بل في تصورنا الخاطيء له.

على الجانب الآخر يرى الكندي أن الخوف من الموت مرده إلى الجهل بحقيقته، فالموت في نظره ليس فناً مطلقاً، بل هو انتقال إلى مرحلة أخرى من الوجود وهذا ما يجعله غير جدير بذلك الرعب المستمر الذي تغذيه التصورات الشعبية والمخيلة الجماعية. فـ((الموت ليس برديء، إنما خوف الموت رديء))^(٥٠)، في هذا الإطار يتعامل الكندي مع الموت من منظور عقلاني فلسفي يحرر النفس من الأوهام والانفعالات غير المبررة، ويكشف زيف الصورة التي تلصق به. ويؤكد أن الإنسان متى ما عرف حقيقة الموت زال عنه الخوف وتلاشى الحزن، لأن مصدر الخوف غالباً ما يكون إما مجهولاً أو شريراً، والموت في حقيقته لا هو بالمجهول ولا هو بالشر، بل هو من سنن الوجود الطبيعية التي ينبغي تقبلها بوعي وطمأنينة.

يتلاقى الكندي وفلاسفة الرواقيين في تصور موحد للموت وكيفية التغلب على الحزن، يقوم الموت عندهم على التعقل والزهد، وإعادة تشكيل الوعي تجاه الحياة ونهايتها. فكلتا الطرفين يرى أن الموت ليس كارثة تستدعي الحزن، بل هو تذكير كافٍ بأن لا نحزن، لأننا نعيش في عالم محكوم عليه بالفناء. فالموت في جوهره ليس مأساة بل جزء من نظام كوني ثابت، وحقيقة لا ينبغي أن تُستقبل بالخوف، بل بالتأمل العميق والفهم الواعي، لا

الخاتمة

سعى هذا البحث إلى إبراز أثر الفلسفة الرواقية في معالجة الكندي لمسألة الحزن، عن طريق تتبع حضور التصور الرواقي في كتاباته، والكشف عن أوجه التشابه والتأثير بين رؤيته ورؤية الرواقيين في فهم الحزن وطرائق التخفيف والحد منه. وتقتصر هذه الخاتمة على عرض أهم النتائج العامة التي انتهى إليها البحث، مع التنبيه إلى أنها لا تُعني عن الرجوع إلى التفاصيل الواردة في المتن لتحقيق تكامل الرؤية وعمق الفهم. ويمكن تلخيص أبرز هذه النتائج فيما يأتي

أولاً: تُبرز هذه الرسالة جانباً عملياً نادراً في الفلسفة الإسلامية المبكرة، حيث يتناول الكندي القضايا الأخلاقية بمنهج لا يقتصر على الطرح النظري، بل يتجه إلى معالجة انفعالات النفس بأسلوب مباشر وواقعي. فهو يقدم رؤية تطبيقية تجعل من الفلسفة وسيلة فعالة لتحقيق التوازن النفسي والسكينة الداخلية.

ثانياً: قدم الكندي في رسالته لفكرة أن العقل يمكن أن يكون أداة قوية في مواجهة تحديات الحياة النفسية والعاطفية. كما أنها قدمت حلولاً عملية لهذه المشاعر السلبية بأسلوب عقلاني، مما جعلها تمثل نقطة تحول في تاريخ الفكر النفسي والفلسفي، وأثرت على الأطباء والفلاسفة اللاحقين في العصور الإسلامية.

ثالثاً: توصل هذا البحث إلى نتيجة جوهرية تتمثل في وجود نقطة التقاء واضحة بين الكندي والرواقيين، وهي الإيمان بدور العقل كأداة أساسية لمعالجة الحزن والانفعالات، وأن الاعتراف بالحزن كجزء من التجربة الإنسانية، دون الانغماس فيه أو الاستسلام له، هو السبيل الأصدق للعيش بحكمة وطمأنينة. وهذه الرؤية، رغم اختلاف اللغة الفلسفية بين الكندي والرواقيين، تعبر عن فهم عميق في طبيعة النفس الإنسانية وسبل تهذيبها.

رابعاً: يتفق الكندي مع الرواقيين بأن الحزن ليس مصيراً حتمياً لا مهرب منه، بل هو حالة ذهنية قابلة للعلاج أو التخفيف بجهد عقلي واع. فالرواقي لا يرفض الحزن لكونه غير إنساني، بل لأنه ناتج عن تصور خاطئ يستوجب التصحيح. وبالمثل، لا يسعى الكندي إلى إنكار الحزن تماماً، بل إلى تهذيبه من خلال التأمل العقلي في أسبابه والوعي بمحدودية التعلق بالموجودات الزائلة.

خامساً: توصل البحث إلى أن الكندي والرواقيين يشتركون في رؤية جوهرية مفادها أن الطمأنينة النفسية تتحقق بالعيش في انسجام مع نظام الكون، عن طريق الرضا بما لا يمكن تغييره، والزهد العقلي في الفاني انطلاقاً من فهم عقلاني لطبيعة الحياة وزوالها.

بعدها .

(١٣) الكندي: في الخيلة لدفع الاحزان ص ٢٠

(١٤) ينظر احمد فؤاد الالهواني : الكندي فيلسوف العرب
المؤسسة المصرية العامة ضمن سلسلة اعلام العرب ط ١
(بأت)، ص ٣١٨

(١٥) الكندي: في الخيلة لدفع الاحزان ص ٦

Seneca : On Various Aspects of Virtue,
letter On philosophy, the guide of life
« Loib classical library edition, USA,
1925,v2, p68

(١٧) الكندي: في الخيلة لدفع الاحزان ص ٦

(١٨) سينيكا: عزاء الى هلفيا، ضمن محاورات السعادة
والشقاء، ترجمة حمادة احمد علي دار افاق ط ١٨١
القاهرة فقرة (٢-١٧)

(١٩) ينظر: الكندي: في الخيلة لدفع الاحزان ص ٨

(٢٠) الكندي: في الخيلة لدفع الاحزان ص ١٢ .

(٢١) المصدر نفسه ص ٩

Epictetus: Discourses, trans. by:
George Long, D Appleton and Com-
pany, New York. 1904.(3-12)

(٢٣) ينظر: مؤيد أعاجيبي: العيش وفلسفة الحياة طريقك
الى السعادة الرواقية دار رؤية ط ١٢٤ ٢٠٢٤ القاهرة
ص ١٢٤-١٢٥

(٢٤) الكندي: في الخيلة لدفع الاحزان ص ١٢

(٢٥) ينظر: أرسطو الاخلاق ترجمة احمد لطف السيد، مطبعة
الكتب المصرية، ج ١ ك ٢ ط ١٩٢٤ القاهرة، ك ٧ ب ٦
ص ٣.

(٢٦) الكندي: في الخيلة لدفع الاحزان ص ١٦

(٢٧) الكندي: في الخيلة لدفع الاحزان ص ٢٧

(٢٨) الكندي: رسالة في قول النفس تحقيق محمد عبد الهادي

الهوامش

(Endnotes)

(١) ينظر: عثمان امين الرواقية والإسلام مجلة المشرق العدد
١٩٦٤ ص ٣٩٧

(٢) ينظر: عبد الفتاح أحمد، الاصول الرواقية في الفلسفة
الاسلامية دار الوفاء ط ١ الاسكندرية ٢٠٠٣ ص ١٦٧ .

(٣) ينظر: دافيد سانتلانا: المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم
الاسلامي تحقيق محمد جلال دار النهضة العربية، ط ١
القاهرة ١٩٨٧ ص ٢٢٣

(٤) ابراهيم مذكور،: المصادر الإغريقية للفلسفة الإسلامية،
مجلة الرسالة، عدد: ٢٩٣، ١٩٣٥، ص ٦٩٦ .

Brehier: Chrysippe et l'ancien

stoicisme Paris J. Vrin

١٦١ نقرأ
عن محمد شوقي الزين: الفلسفة الرواقية في الفكر
الاسلامي نموذج ابن عربي بحث منشور الأكاديمية
العربية (خال من اي معلومات)، ص ٦

(٦) المصدر نفسه ص ٥٧

(٧) المصدر نفسه ص ٨

(٨) الكندي: في الخيلة لدفع الاحزان تحقيق عبد الرحمن
بدوي ضمن كتاب رسائل فلسفية، دار الاندلس ط ١
١٩٩٧ بيروت، ص ٧ من مقدمة التحقيق .

(٩) : المصدر نفسه، ص ٨

Ritter and Walzer: Go ttingische^(١٠)
p١٦، ١٩٣٨، ١٠ Gelehrte Anzeigen

نقلاً عن بيتر ادمسون: الكندي، ترجمة عبد الرحيم البصري،
صفحة ٧، ٢٠٢٣، ط ١، ٢٥١ ..

(١١) ينظر: بيتر ادمسون: الكندي، ص ٢٥١

(١٢) يراجع الكندي: رسالة الحدود والرسوم تحقيق عبد
الامير الاعسم، ضمن كتابه المصطلح الفلسفي عند
العرب دار التنوير ط ٢٠٠٩ بيروت ص ١٨٩ وما

- الاهواني، دار اجيلاء للكتب العربية، ط ١، ١٩٤٨
القاهرة، ص ٨٨-٨٩
- (٤٤) الكندي: في الحيلة لدفع الاحزان ص ١٥
(٤٥) المصدر نفسه، ص ١٤
(٤٦) الكندي: في الحيلة لدفع الاحزان ص ١٥
- (47) Seneca, Moral Essays: translated by
John W. Basore, Loeb Classical Li-
brary No. 254, Cambridge, MA: Har-
vard University Press, 1932, Ch 7, p.
487
- (٤٨) الكندي: في الحيلة لدفع الاحزان ص ٢٠-٢١
- (49) Seneca: On the Intimations of Our
Immortality, v2, p102.
- (٥٠) الكندي: في الحيلة لدفع الاحزان ص ٢٨
- ابوريدة ضمن رسائل الكندي الفلسفية، دار الفكر
العربي، ط ١، ١٩٥٠، القاهرة، ص ٢٨٠
- (٢٩) ينظر: الكندي، رسالة في الإبانة عن العلة الفاعلة
والقريبة للكون والفساد، تحقيق محمد عبد الهادي ابو
ريدة ضمن رسائل الكندي الفلسفية، ص ٢٠٨-٢٠٩
- (٣٠) ينظر: حمدي عبد الله الشرقاوي الحزن في فلسفة
الكندي، مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية،
العدد ٤٩ الكويت، ٢٠١٨، ص ٤٨
- (٣١) ينظر: وليم إرفين أدليل الى الحياة الكريمة ترجمة علي عبد
الامير صالح أدار التنوير، ط ١، ٢٠٢١ بيروت ص ١٦٢
- (٣٢) الكندي: في الحيلة لدفع الاحزان ص ١٩-٢٠
- (33) Seneca: On Grief For Lost Friends, v1.
p280
- (٣٤) ماركوس أوريليوس: التأملات، ترجمة عادل مصطفى
دار رؤية للنشر والتوزيع ط ١، ٢٠١٩ القاهرة، ك ٥
٣٦ ف
- (٣٥) الكندي: في الحيلة لدفع الاحزان ص ١٧
- (36) Seneca: On Care of Health and Peace
of Mind, v3, p113
- (٣٧) إبيكتيتوس: المختصر ترجمة رزان يوسف أدار المدى
ط ١، بغداد ٢٠٢٠ ف ٥
- (38) Epictetus, Discourses, Book I-1
- (٣٩) ينظر: حسام الالوسي، فلسفة الكندي وآراء القدامى
والمحدثين فيه، منشورات جامعة بغداد، ط ١، ١٩٨٤
بغداد، ص ٢٧٩
- (٤٠) الكندي: في الحيلة لدفع الاحزان ص ٨
- (٤١) ماركوس أوريليوس: التأملات ك ٢ ف ١
- (٤٢) إبيكتيتوس: المختصر، ترجمة عادل مصطفى أدار رؤية
ط ١، ٢٠١٩ القاهرة ف ١٧
- (٤٣) ينظر: الكندي: في الفلسفة الاولى، تحقيق أحمد فؤاد

المصادر

- E. Brehier, Chrysippe et l'ancien sto-
icisme, Paris, J. Vrin, 1951
- Epictetus: Discourses, trans. by: George
Long, D Appleton and Company, New
York, 1904
- Ritter and Walzer: Go ttingische Gelehr-
rte Anzeigen 10, 1938
- Seneca, Moral Essays: translated by John
W. Basore, Loeb Classical Library No.
254, Cambridge, MA: Harvard Uni-
versity Press, 1932
- Seneca: "letter On philosophy, the guide
of life", Loib classical library edition,
USA, 1925
- On Care of Health and Peace of Mind

- اجياء للكتب العربية، ط١، ١٩٤٨ القاهرة
- On Grief For Lost Friends
- الكندي: رسالة في الإبانة عن العلة الفاعلة والقريبة للكون
والفساد، تحقيق محمد عبد الهادي ابو ريده ضمن
رسائل الكندي الفلسفية
- On Various Aspects of Virtue
- ابراهيم مذكور: المصادر الإغريقية للفلسفة الإسلامية،
مجلة الرسالة، عدد: ١٩٣٥
- الكندي: رسالة الحدود والرسوم، تحقيق عبد الامير
الاعسم، ضمن كتابه المصطلح الفلسفي عند العرب،
دار التنوير، ط٣، ٢٠٠٩، بيروت
- إبيكتيوس: المختصر، ترجمة عادل مصطفى، دار رؤية،
ط٣، ٢٠١٩ القاهرة
- الكندي: رسالة في قول النفس، تحقيق محمد عبد الهادي
ابو ريده ضمن رسائل الكندي الفلسفية، دار الفكر
العربي، ط١، ١٩٥٠ القاهرة
- إبيكتيوس: المختصر، ترجمة رزان يوسف، دار المدى، ط١،
بغداد ٢٠٢٠، ف٥
- الكندي: في الحيلة لدفع الاحزان، تحقيق عبد الرحمن
بدوي، ضمن كتاب رسائل فلسفية، دار الاندلس،
ط١، ١٩٩٧، بيروت
- احمد فؤاد الالهواني: الكندي فيلسوف العرب، المؤسسة
المصرية العامة ضمن سلسلة اعلام العرب، ط١، (ب)،
(ت)
- أرسطو، الاخلاق، ترجمة احمد لطف السيد، مطبعة الكتب
المصرية، ج١، ك٢، ط١، ١٩٢٤ القاهرة
- بيتر ادمسون: الكندي، ترجمة عبد الرحيم البصري، صفحة
٧، ٢٠٢٣، ط١
- حسام الالوسي، فلسفة الكندي وآراء القدامى والمحدثين
فيه، منشورات جامعة بغداد، ط١، ١٩٨٤ بغداد
- ح- مدي عبد الله الشرقاوي، الحزن في فلسفة الكندي،
مجلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد ٤٩
الكويت، ٢٠١٨
- مؤيد أعاجيبي: العيش وفلسفة الحياة طريقك الى السعادة
الرواقية، دار رؤية، ط١، ٢٠٢٤ القاهرة،
- دافيد سانتلانا: المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم
الاسلامي، تحقيق محمد جلال، دار النهضة العربية،
ط١، القاهرة، ١٩٨٧
- سينيكا: عزاء الى هلفيا، ضمن محاورات السعادة و الشقاء،
ترجمة حمادة احمد علي، دار افاق، ط١، ٢٠١٨، القاهرة
- عبد الفتاح أحمد فؤاد، الاصول الرواقية في الفلسفة
الاسلامية، دار الوفاء، ط١، الاسكندرية ٢٠٠٢.
- عثمان امين، الرواقية والإسلام، مجلة المشرق العدد ٤،
١٩٦٤
- الكندي: في الفلسفة الاولى، تحقيق أحمد فؤاد الالهواني، دار

From wisdom to cunning: The Stoic influence on treating grief according to Al-Kindi

Assistant. DR. Mouaed Jabar Risan

Abstract

This study aims to shed light on the Stoic influence in the thought of al-Kindī (185 AH/805 CE – 256 AH/873 CE) by analyzing his understanding of the concept of sorrow and exploring how he employed philosophy as a tool for achieving psychological balance. The goal is to highlight the role of philosophy as an effective practical discipline that contributes to improving the quality of life, rather than being merely a set of abstract, theoretical reflections detached from reality.

The study also examines the philosophical comparisons between al-Kindī and the Stoics, attempting to clarify the extent to which he was influenced by this school of thought and the ways in which he differentiated himself from it in certain aspects. This is done in order to illuminate his pioneering role in integrating Stoic philosophy with Islamic teachings, a synthesis that contributed to shaping an independent philosophical identity—one that enriches human understanding and enhances the ability to engage with life's challenges. For philosophy, in this sense, is not simply theoretical contemplation but a practical instrument that helps individuals overcome crises and face life's difficulties with awareness and wisdom. It encourages a balanced way of life that reduces the impact of sorrow and negative emotions, making philosophy a means of liberation from the constraints of emotional disturbances.

Keywords: (Al-Kindi, sorrow, Stoicism, philosophy, human)

